

فردهم رداً عنيفاً لائماً لهم على تفرغهم لمثل هذا، على حين كانت مصر قد فتحت وقتلت فيها شيعة على.

وكتب على كتاباً يذكر فيه ما صارت إليه الأمور بعد تخاذل أهل العراق وأمر أن يقرأ هذا الكتاب على الناس لينتفعوا به.

قال البلاذري: وكانت عند ابن سبأ منه نسخة صرفها، وابن سبأ عند البلاذري ليس ابن السوداء وإنَّما هو عبداً بن وهب الهمداني.

والبلاذري يروي هذا الخبر كله متحفظاً متوخياً للصدق ما استطاع، وهو كثيراً ما يروي بعض الاحاديث ثم يعقب عليها بما يظهر الشك فيها، لأنها من اختراع أهل العراق.

والواقع أن الخصومة بين الشيعة وأهل الجماعة قد اتخذت ألواناً من الجدل والاذاعة ونشر الدعوة بعد أن استقام الأمر لبني العباس، كثر فيها المكر والكيد والاختراع، بحيث يجب على المؤرخ المنصف أن يحتاط أشد الاحتياط حين يصور هذه الفتن في عهدها الأول. وأي شيء أيسر من أن يكذب أهل الشام على أهل العراق، ومن أن يكذب أهل العراق على أهل الشام، ولا سيما بعد أن يمضي الزمن ويبعد العهد، ويصبح التحقق من الوقائع الصحيحة عسيراً.

والذين استباحوا لانفسهم أن يضعوا الاحاديث على النبي وأصحابه لا يخرجون من أن يستبيحوا لانفسهم وضع الاخبار على أهل الشام والعراق ومؤرخ هذا العصر الذي نحاول تصويره ممتحن أعسر الامتحان وأشق من ناحيتين:

احدهما ناحية القصص الذين كانوا يتحدثون بأمر الفتن في البصرة والكوفة فيرسلون خيالهم على سجيته ويتعصبون للقبائل المختلفة من العرب، ولعلمهم كانوا يأخذون المال من أولئك وهؤلاء ليحسنوا ذكرهم ويعظموا أمرهم ويذكروا لهم من المآثر ما كان وما لم يكن، ويرووا في هذه المآثر من الشعر ما قيل وما لم يقل. ولذلك كان كل الناس شعراء يوم الجمل ويوم صفين، ولذلك رويت الاخبار التي لا تستقيم في العقل.